

تعليمية البلاغة بين التوظيف التراثي والتجديد الحداثي

la didactique de la rhétorique entre l'emploi patrimoine et le renouvellement moderniste

د.لبصير نورالدين

جامعة حسبية بن بوعلي الشلف الجزائر

الملخص باللغة العربية :

تعد تعليمية البلاغة إحدى أبرز الإشكاليات التي تواجه الدراسات الحديثة، وقد ازدادت هذه الإشكالية حدة بعد ظهور كثير من النظريات، والمناهج الجديدة، كل ذلك جرنا بإلحاح لطرح جملة من الإشكاليات الآتية: ما موقفنا من الحداثة؟ هل يجب أن نظل عميانا و صمانا عن المناهج الحديثة الحداثية التي تزخر بها الدراسات؟ هل من الإجحاف أن لا ننظر للمناهج التي تطالعنا بها الدراسات؟ هل المنهج التراثي في تعليم البلاغة عبر قرون هو تقنية عتيقة عفا عنها الزمان؟ أم أنها ما تزال صالحة اليوم؟ فإذا كان التراث صالحا للتدريس فلماذا يتعب المعاصرون أنفسهم اليوم في تتبع الجديد و تجديد المناهج وتحديث التصورات وتطوير النظريات؟ هل اجتزأ الباحثون بما ورثوا عن أسلافهم، وأراحوا أنفسهم عناء البحث والتقيب؟ هل ما زلنا في مناهجنا التعليمية التقليدية نروج المعرفة المدونة؟ ما مدى صلاحية التراث في تدريس البلاغة؟ هل يجب على الباحث اليوم أن يتعلق بالتراث إلى الحد الذي لا يجب معه الانقسام؟ وفي خضم هذا كله هل يجب علينا رفض التراث؟ لا أظن عاقلا يقول ذلك. ما مدى الاحتراز الذي يجب أن يؤخذ عند توظيف النظريات الغربية الحديثة في فهم الدرس البلاغي والنقدي القديم

الملخص باللغة الفرنسية :

la didactique de la rhétorique est l'un des principaux dilemmes face à des études modernes Ce problème a fortement augmenté après l'apparition de nombreuses théories et les nouveaux programmes d'études Tout ce que nous entraîner vers une foule de problèmes à la suite Ce que nos a poser notre position de la modernité Devriez vous rester aveugles et samana sur le programme d'études moderne?? Il est injuste de ne pas chercher des approches auxquels nous sommes confrontés études? Sont approche traditionnelle de l'enseignement au cours des siècles la rhétorique est pas à jour la technologie obsolète par le temps? Ou sont-ils encore valables aujourd'hui? Si patrimoine valable de l'enseignement, pourquoi contemporains eux-mêmes aujourd'hui fatigué dans la nouvelle piste et le renouvellement des programmes et mettre à jour les perceptions et développer des théories? Quelle est la validité du patrimoine dans l'enseignement de la rhétorique?

مقدمة introduction:

خطت التعليمية "la didactique" في الدول المتقدمة باعتبارها تخصصا علميا جديدا خطوات عملاقة نحو تحقيق الأهداف العلمية والبيداغوجية في تكوين المعلم والمتعلم، وخاصة في الجامعات، ومن جهة أخرى نعمل على القضاء على العراقيل المختلفة التي تعترض عملية التعليم أو التقليل منها، ومحاصرة كل مظاهر الضعف اللغوي والنحوي والبلاغي التي ما تزال تعيق سبيل كثير من الطلبة في اكتساب اللغة والمعرفة وتذوق مواطن الجمال في النصوص الأدبية خاصة القديم منها. كل ذلك يدفعنا من أجل رفع مستوى العملية التعليمية أو التبليغية في أقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعة الجزائرية، وكذا المغاربية، والعربية بغية الوصول إلى المراتب العليا وتحقيق مردود علمي جيد، ولن يتسنى لنا ذلك إلا من خلال تقديم دروس نموذجية على المستويين النظري والتطبيقي، خاصة مع ما أحدثته اللسانيات الحديثة من مقاربات تعليمية ومفاهيم إجرائية يمكن الاستفادة منها في نماذج تعليمية ترقى مستوى طموحنا وتزيل كثيرا من الإشكاليات العالقة.

تعليمية البلاغة بين التوظيف التراثي والتجديد الحداثي وجاء العنوان بهذا الشكل لارتباط مفهوم التراث بالوجه

المقابل والمفهوم المناقض لمصطلح الحداثة ما

دام أن (الأشياء تعرف بضدها).

إشكالية الدراسة:

étude problématique

تعد تعليمية البلاغة إحدى أبرز الإشكاليات التي تواجه الدارسات الحديثة، وقد ازدادت هذه الإشكالية حدة بعد ظهور كثير من النظريات، والمناهج الجديدة، كل ذلك جرننا بإلحاح لطرح جملة من الإشكاليات الآتية: ما موقفنا من الحداثة؟ هل يجب أن نظل عميانا وصمانا عن المناهج الحديثة الحداثية التي تزخر بها الدراسات؟ هل من الإجحاف أن لا ننظر للمناهج التي تطالعنا بها الدراسات؟ هل المنهج التراثي في تعليم البلاغة عبر قرون هو تقنية عتيقة عفا عنها الزمان؟ أم أنها ما تزال صالحة اليوم؟ فإذا كان التراث صالحا للتدريس فلماذا يتعب المعاصرون أنفسهم اليوم في تتبع الجديد وتجديد المناهج وتحديث التصورات وتطوير النظريات؟ هلا اجتزأ الباحثون بما ورثوا عن أسلافهم، وأراحوا أنفسهم عناء البحث والتتقيب؟ هل محكوم على هذه الأمة أن يظل الأحفاد قابعين في قبعة حضارة الأجداد؟ هل ما زلنا في مناهجنا التعليمية التقليدية نروج المعرفة المدونة؟ ما مدى صلاحية التراث في تدريس البلاغة؟ هل يجب على الباحث اليوم أن يتعلق بالتراث

أهمية هذه الدراسة:

L'importance de cette étude

إن الإسهامات اللغوية لأسلافنا المفكرين في التراث العربي، لم ينل البحث فيها ما يستحقه من عناية واهتمام، فما زالت مجالات كثيرة في التراث العربي اللغوي بكرة تحتاج إلى نظرة لغوية علمية واعية وإن وجدت هناك أبحاث لغوية ذات قيمة إلا أنها محمولة على الرصيد المعرفي للتراث العربي، وتجتر عطاءً معرفياً لأسلافنا الباحثين، ولم يخرج جهدها إذ ذاك من عملية نقل أو تصنيف دون أن يكون لروح العصر الحديث لمسات على هذا التراث ليعث فيه التجديد.

وباعتبار البلاغة العربية هي المرأة التي تعكس مستوى الإبداع الخلاق الذي وصلت إليه العبقرية العربية منذ العصور الأولى، إذ استمد الفن البلاغي وجوده من سائر الفنون والعلوم كالأدب والشعر والنقد واللغة والنحو وغيرها، فنشأ بذلك نشأة متعددة المنابع والروافد، وهذا ما جعل بلاغة العرب تتبوأ مكانة سامقة بين علوم اللغة وفنون الأدب، وغدت تحتضنها على اعتبار أنها تتجلى من خلال مختلف الأنماط التركيبية وما يترتب عليها من المعاني والأغراض، والتشكلات النصية وما تحبل به من المقاصد والدلالات بطريقة أو بأخرى، وصار لزماً على دارس البلاغة أن

إلى الحد الذي لا يجب معه الانفصام؟ وفي خضم هذا كله هل يجب علينا رفض التراث؟ لا أظن عاقلاً يقول ذلك لكن الإشكالية التي تروم هذه الدراسة الإجابة عنها هل نقرأ تراثا البلاغي بآليات نظرية ومناهج تحليلية حديثة مستمدة من المعارف الغربية المعاصرة؟ أم نقرؤه في ذاته، وبمعزل عن التصورات والمناهج الحديثة؟ ثم هل ينبغي أن نبلور تصوراً منهجياً مغايراً للنظريات والمناهج الحديثة في قراءتنا لتراثنا النقدي والبلاغي، أم نكتفي بما حققته الأدبيات الغربية في هذا المجال؟ ما مدى الاحتراز الذي يجب أن يؤخذ عند توظيف النظريات الغربية الحديثة في فهم الدرس البلاغي والنقدي القديم وتحليله بعيداً عن تهمة الإسقاطات ويجرنا إلى ألا يفضي الاعتماد على المناهج الغربية في قراءة التراث إلى تجميد ابتكار مناهج أصيلة وتطورها التقليد الأعمى للنظريات الغربية، ويؤدي إلى تفسيرات غير علمية لقضايا التراث العربي القديم.

هل قراءة المعاصرين للدرس البلاغي فتح مجالاً جديداً واسعاً في آفاق الدرس اللغوي، وأسهم في مد جسراً بين الدرس اللغوي الحديث والتراث أم أنها زادت في اتساع رقعة الغلو في الإسقاطات؟

يتمتع من تلك المنابع والروافد جميعها في تكاملها وتواشجها.

أهداف الدراسة: objectifs de l'étude

- محاولة الوقوف على مسيرة الدرس البلاغي.
- إبراز جهود القدماء والمحدثين في تطوير تعليمية الدرس البلاغي.
- الارتقاء بالبلاغة العربية من خلال تطوير سبل البحث فيها.
- محاولة وضع الأطر المعرفية لتطوير أساليب دراسة البلاغة وتدريسها.
- الوقوف على واقع تدريس البلاغة في المدارس والجامعات العربية : ما له وما عليه.
- اقتراح منهجية نموذجية في مجال تعليم البلاغة العربية.
- تطوير أساليب البحث البلاغي على المستوى الأكاديمي.
- ربط الدرس البلاغي بما وصلت إليه الدراسات الحديثة في عدة مجالات وعدم الاكتفاء بالقديم.
- إخصاب النظريات البلاغية القديمة وجعلها تتماشى مع النظريات الحديثة.
- البلاغة بين تقريب التراث وطغيان المناهج الحديثة:**

Rhétorique entre patrimoine et la tyrannie du programme moderniste

يشهد عصرنا الحاضر تطوراً سريعاً في كافة مناشط الحياة، كل ذلك يتطلب من الدارسين والباحثين إعادة النظر في النظام التعليمي بوجه عام والتعليم الجامعي

بوجه خاص حتى يتسنى للفرد مواكبة هذا التطور والسير في ركبه، والذي أدى بدوره إلى تطوير وظيفة التعليم الجامعي الذي لم يعد كما في السابق مجرد نقل المعارف والمعلومات للطالب بل أصبح يهتم بإعداد الطالب عقلياً ومهارياً ووجدانياً، وتربيته تربية متكاملة، لذا أصبح الهدف الأساسي للتعليم الجامعي تدريب الطلاب على كيفية استخدام الأسلوب العلمي في التفكير وحل المشكلات التي تواجههم.

ومع ذلك تبقى تعليمية البلاغة - وإن كانت لقيت عناية كبيرة في عصورها الأولى - متخلفة عن ركب العلوم الحديثة، لذلك تحاول هذه الدراسة مقارنة الدرس البلاغي بين تقريب التراث وطغيان المناهج الحديثة، للوصول على الأقل للإجابة عن ما مدى صلاحية التراث في تدريس البلاغة؟ وهل بإمكاننا التوفيق بين موروثنا البلاغي ومستجدات الحداثة. هل مهمة الباحث اليوم في التراث اللغوي العربي هو البحث عن التقاطعات بين الحديث والقديم؟ لاشك أن إشكالية تعليم البلاغة اليوم لا تعاني بالأساس إلى افتقارها إلى النظريات والمناهج، لأن البرهنة على ذلك يمكن تلمسه من الجهود التي بذلها أسلافنا، لكن تعود إلى عوائق حالت دون ذلك.

أ - إشكاليات وعوائق تعليم ال

ب - بلاغة بالمناهج الحديثة:

Problèmes et obstacles à l'éducation de la rhétorique avec les programmes moderniste

اعتقد أننا مطالبون اليوم بإعادة الشرعية للدرس البلاغي، وقد حاول ذلك باحثون سابقون في مقولاتهم عن (تجديد البلاغة العربية)، هل ضاق التراث البلاغي العربي القديم عن احتواء المناهج الإبداعية الحديثة حتى أضحى تجديد البلاغة أمراً ملحاً؟ حتى نادى عدد كبير من الباحثين لتجديد البلاغة كالشيخ عبد العزيز البشري، وأحمد الشايب، وأحمد حسن الزيات، وأنيس المقدسي، وأحمد بدوي، وعلي العماري، وعبد الرزاق محيي الدين، وأحمد مطلوب، وعلى عبد الرزاق، وبدوي طبانة، وحفني أمين الخولي، شرف، ومحمد نايل، وكامل الخولي ومصطفى صادق الرافعي حسام الخطيب، وكمال أبو ديب، وعبد العزيز حمودة، وغيرهم. ويبدو أن الدعوة إلى التجديد في البلاغة ليست شيئاً حديثاً ابتدعه هؤلاء، فقد وجد منذ القرن الثالث الهجري حيث دعا ابن قتيبة إلى التجديد، وقال قولته المأثورة: "إنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِرَ العلمَ والشعرَ والبلاغةَ على زمنٍ دونَ زمنٍ، ولا خصَّ به قومًا دونَ قومٍ، بل جعلَ ذلكَ مشتركاً مقسوماً بين عباده

في كلِّ دهرٍ، وجعلَ كلَّ قديمٍ حديثاً في عصره".¹

هل البلاغة اليوم تنافى التطور الحاصل في المناهج الحديثة؟ ألا يمكن للبلاغة العربية أن تستفيد من معطيات الدراسات اللغوية كما استفادت منه البلاغة الغربية؟ يقر كثير من الدارسين اليوم باكتمال صرح البلاغة علي يد الجرجاني - رحمه الله - مما جعل الابتكار فيها أو الزيادة عليها أقرب للمحال.

فيذا كان الأمر كذلك نقول كما قال عبد الملك مرتاض: "هلا اجتزأ الباحثون بما ورثوا عن أسلافهم، وأراحوا أنفسهم عناء البحث والتتقيب؟ هل محكوم على هذه الأمة أن يظل الأحفاد قابعين في قبعة حضارة الأجداد؟". هل من الإجحاف أن لا ننظر للمناهج التي تطالعنا بها الدراسات؟ شغلت مسألة المنهج مساحة كبيرة من اهتمام الباحثين لما للمستجدات المنهجية في حقل الدراسات اللغوية والأدبية من تأثير على طرائق المعالجة النظرية والتطبيقية في حقل اللغة والأدب العربي. ثم هل توفر في المحدثين معرفتهم بالتراث البلاغي، ووقفوا على ما يحتوي عليه من قيم تمثلوها تمثلاً واعياً ومستوعباً يمكنهم من إضافة جديد إلى القديم؟

¹ الشعر والشعراء، ص 7.

ويقول الدكتور جدعان أيضاً: إن هذه "الأدلجة" لم تكن تعني في نهاية التحليل إلا شيئاً واحداً هو :

أن الحاضر عاجز. بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة . عن إحداث التغيير المنشود . وأن التراث الذي يشد الناس إليه ، هو الذي يملك القوة السحرية على التغيير ، وذلك . بطبيعة الحال . بعد توجيه قراءته الوجهة التي تخدم الأهداف المنصوبة.⁵

موقفنا من الحداثة :

Notre position de la modernité

لا يبدو حتى الآن أننا غادرنا مرحلة الجدل المحتدم والعنيف في بعض الأحيان ، فيما يخص موقفنا من الحداثة لسببين اثنين ، يتعلق الأول منهما بعلاقتنا مع الآخر/ الغربي وموقفنا منه ، باعتباره مصدر الحداثة وحامل قيمها ، في حين يكمن السبب الثاني في غياب الحامل الاجتماعي الوازن ، والقادر على قيادة عملية التحول والتأسيس لوعي حداثي يعلي من قيمة العقل والحرية والمواطنة والتعددية. ويبدو أن كثير من الباحثين كانوا مدركين لأهمية الالتفات للمناهج الحديثة دون نسيان للتراث ، لذلك تساءل الدكتور عبد الملك مرتاض : "هل نقرأ تراثنا بآليات نظرية ومناهج تحليلية حديثة مستمدة من المعارف الغربية المعاصرة؟ أم نقرؤه في ذاته ، وبمعزل عن التصورات والمناهج

يقول منقور عبد الجليل: " فإن ذلك يعد فضلاً علمياً في غاية الأهمية خاصة إذا صحب ذلك وعي الباحث وتمكنه من أدوات بحثه بكيفية تعينه على الغوص في التراث المعرفي بمنهجية دقيقة ووسائل ملائمة ، مما يتيح فرصة التوصل إلى نتائج علمية مؤكدة قد تلقي أضواء على جوانب هامة من التراث العلمي الزاخر وبالتالي تفتح مجالات واسعة لإعادة اكتشاف هذا التراث اكتشافاً علمياً واعياً ، بإدراجه ضمن حركية العلوم الحديثة".²

يقول عبد السلام المسدي: "وعلى معلم اللغات أن يستتير بما تمده به اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية".³

ويرى الدكتور فهمي جدعان أن هؤلاء يستلهمون التراث الماضي ما يبررون به الواقع الحاضر ، ويرى أن عملية "الاستلهام" هذه ليست إلا عملية تسويق لقيم الحاضر ، بإسقاط غطاء تراثي عليها ، وأن الذي يحدث عملياً أن الحاضر هو الذي يفرض قيمه ، ويلزم بها.⁴

² علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي:

منقور عبد الجلي ، ، ص: 9.

³ اللسانيات وأسسها المعرفية: عبد السلام المسدي ، ص: 136.

⁴ نظرية التراث: الدكتور فهمي جدعان ، ص: 26.

⁵ المرجع السابق ص: 28 وما بعدها .

الحديث؟ ويقول أيضا: "هل يجب أن نظل عميانا وصمانا عن المناهج الحديثة الحداثية التي تزخر بها الدراسات" ثم هل ينبغي أن نبلور تصورا منهجيا مغايرا للنظريات والمناهج الحديثة في قراءتنا لتراثنا النقدي والبلاغي، أم نكتفي بما حققته الأدبيات الغربية في هذا المجال؟ فإذا كان التراث صالحا للتدريس فلماذا يتعب المعاصرون أنفسهم اليوم في تتبع الجديد وتجديد المناهج وتحديث التصورات وتطوير النظريات؟ ويقول أيضا: "هلا اجتزأ الإنسان بما ورث عن أسلافه منذ القدم، وأراح نفسه من عناء البحث".⁶

ويقول "أما ما نود نحن، فهو أن نفيد من النظريات الغربية، القائم كثير منها على العلم كما نفيد من بعض التراثيات ونهضم هذه وتلك، ثم نحاول بعد ذلك عجن هذه مع تلك عجينا مكيئا، ثم بعد ذلك نحاول أن نتناول النص برؤية مستقلة مستقبلية".⁷

يصرح كمال بشر بصعوبة التوفيق بين منهج العرب واللسانيات الحديثة ذلك لعدم تكافؤ الطرفين ثقافيا وعلميا، ويرى في التوفيق بين المنحيين خليطا من التفكير ومزيجا من طرائق البحث

أوقعتهم في أخطاء منهجية لا يقرها البحث الحديث، ومن جهة ثانية يبين كمال بشر الهدف العملي للدراسة اللسانية العربية المرتبطة بالنص القرآني في المرحلة الأولى وبتعليم القواعد النحوية في المرحلة الثانية، ولذلك نراه يتبدد الوهم القائل بإمكانية تطبيق المناهج الحديثة في اللسانيات تطبيقا صارما لاختلاف الأصول والأدوات بل اختلاف السياق الحضاري كله، والأنفع بالنسبة إلى الباحثين الكشف عن جوانب النظرية اللسانية العربية لا الادعاء بعدم ارتكاز البحث اللساني على منهج ثابت وواضح.

يقول عبد العزيز حمودة: إنني أدعو جميع نقادنا الأعزاء أن ينظروا إلى التراث بعين الحداثة وأن يعدوا قراءة الحداثة بعين التراث ولكن ليست القراءة الطائشة القراءة التي تظهر تحمسا وهميا للتراث محاولة في إلحاقه بحداثة اليوم وعلى العكس نرفض تقوقعا في بؤرة التراث وإغلاق الباب بوجه التيارات القادمة من الآخر إنني أتذكر دوما قول غادامير أن القراءة المعاصرة يجب أن تكون في الإطار التاريخي للمقروء وليس ببعيدة عنه، يقول وهو في مجال دراسته الأفاق بأنها تتواجد.. عند الإشارة إلى مطالبة الوعي التاريخي برؤية الماضي في ضوءه هو، وليس في ضوء

⁶ أ- ي: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين

ليلاي لمحمد العيد: د. عبد الملك مرتاض، ص: 9.

⁷ ألف ليلة وليلة - تحليل سيميائي تفكيكي

لحكاية جمال بغداد: عبد الملك مرتاض: ص: 11.

معاييرنا وأهوائنا المعاصرة، بل في داخل
افقه التاريخي".⁸

لذلك كانت الحداثة بهذا الاعتبار
تعني أولاً وقبل كل شيء حادثة المنهج
وحداثة الرؤية، والهدف: تحرير تصورها
لـ"التراث" من البطانة الأيديولوجية
والوجدانية التي تضفي عليه، داخل
وعينا، طابع العام والمطلق وتزع عنه طابع
النسبية والتاريخية.⁹

كثرة المصطلحات الجديدة:

Beaucoup de termes nouveaux

لعل من المشكلات التي وقعت فيها
المناهج الجديدة في مقاربتها للتراث البلاغي
كثرة المصطلحات الجديدة، من ذلك
البلاغة القاعدية، والبلاغة القيمية، وقيمة
القيمة البلاغة العامة والبلاغة المعجمة.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "والعجيب
في أمر هؤلاء أنهم ينهون عن التقليد، وهم
في الواقع مقلدون، رفضوا تقليد الأئمة
القدامى وقلدوا بعض المعاصرين..."¹⁰

طابعها المعياري: caractère normatif

ومن الأسباب التي دفعت المعاصرين
لتجديد البلاغة اتهامها بالمعيارية، وربما
كان من أخطر ما ألصق بالبلاغة هو

طابعها المعياري، وهي تهمة قد تكون
صادقة من جانب، وغير صادقة من الجانب
الآخر، يرجع صدقها إلى الكم الهائل من
القواعد والقوانين التي قدمها البلاغيون
كشروط أولية لإنتاج القول البليغ، أما
عدم الصدق فيأتي من أن مجموعة القوانين
لم تأت من تصور تجريدي، وإنما كانت
ناتجة لمتابعة وصفية لمجموعة النصوص
الأدبية.

البلاغة العربية والمناهج الحديثة:

La rhétorique arabe et programmes modernes

هل بإمكاننا إعادة قراءة البلاغة
على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة،
أو عدم إمكانية ذلك، وبالتالي الإقرار
بموت البلاغة وقيام المناهج الحديثة بدلا
عن البلاغة (الأسلوبية - التداولية -
لسانيات النص - البلاغة الحجاجية -
السميائية....). ومع طغيان المقصدية التعليمية
لم يعد تدريس البلاغة يتم باعتبارها مادة
من المواد ولكن بوصفها سلكا للدراسات
وبذلك اتجهت الدراسات الغربية في تدريس
البلاغة في التقليد الغربي إلى المعنى
الحجاجي الذي يصب في التداوليات
الحديثة، وهذا ما تبنته دراسات بلاغية
غربية حاولت محاورة البلاغة القديمة
بالبلاغة الجديدة بالتوجه الحجاجي
المنطقي الذي يجر البلاغة إلى المنطق عبر

⁸ المراسم المحددة (من البنيوية إلى التفكيك) عبد
العزيز حمودة، ص: 324.

⁹ التراث والحداثة د: محمد عابد الجابري، ص:

15- 16.

¹⁰ تراثا الفكري في ميزان العقل والشرع، محمد
الغزالي، ص: 128.

الجدل أو ما يسمى اليوم بالبلاغة الحجاجية.

أو إلى المعنى التعبيري الشعري الذي يصب في الأسلوبيات وهذا ما نلمسه في بعض الدراسات البلاغية الغربية حاولت محاورة البلاغة القديمة بالبلاغة الجديدة بتوجيه البحث الأسلوبي الشعري الذي يجر البلاغة إلى الشعر عبر الأدب .

ذلك قبل أن يظهر توجه ثالث حاول الوصل بين الاتجاهين في إطار "بلاغة عامة". يتعلق الأمر بـ

بتقديم صياغة عامة التوجه السيميائي النصي، الذي حاول تجاوز ازدواجية التي وسمت التوجيهين السابقين.

التصورات العامة: من الإشكاليات التي أعاققت المعاصرين في إرساء مقاربة للتراث البلاغي بالنظريات الحديثة اعتمادهم على تصورات عامة فتصبح هذه القراءة ناقلة مسطرة وقانونا يصعب مخالفتها، وبالتالي يتحول عمل الباحث إلى شارح أو قارئ أو مفسر يضيع ثراء النص.

الإسقاط المباشر: projection directe

ولعل من أصعب الأمور في مقاربة التراث عند المعاصرين أنها مارست العقل الإسقاطي والحماسة المفرطة، بإرجاعهم كثيرا من المصطلحات الحداثية إلى أصول تراثية، فجعلوا من سيبويه وابن جني لسانيّ العصر، ومن عبد القاهر الجرجاني بنيوي، وفي ذلك لعمري إجحاف

وموطن الداء، ذلك إنَّ حبنا للتراث لا يبلغ حدًّا وأده تحت شعار تحديثه، وإنَّما يتحقق بإعادة قراءته في إطار مشروطيته التاريخية، وإعمال العقل النقدي الواعي بشروط الاستنبات وسياقات التلقي.

يقول الدكتور مرتاض: "فمن البر بهذا الأدب أن نبحث في أمر ماضي، وننبش في النظريات التي قد تكون واكبته لنحاول تطويرها وتحديثها بناء على ما جدَّ في سوق العصر من جديد. وببعض ذلك يمكن أن نربط حبل الحاضر بالماضي، وأن لا نطبق نظريات نقدية غريبة على أدبنا، فجاجة، فنقع في إسقاط ساذج لا يليق بالذوق العربي..."¹¹

ويمكننا القول إن في الدرس البلاغي العربي بواكير للرؤية الأسلوبية في النقد الحديث مثلها عبد

القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وحازم القرطاجني في (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، فضلا عن إشارات كثيرة تلقي مع منهج التحليل الأسلوبي في معظم الدراسات النصية التي مثلتها كتب البلاغة العربية القديمة التي كان ميدان عملها (النص). فلا تجد أية إشارة مقحمة إلى ما حول النص في كتب البلاغة والنقد القديمة أهمها: تأويل

¹¹ - أ- ي: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد د. عبد الملك مرتاض، ص: 9-10.

لقد تم تقزيم البلاغة في الدراسات الأكاديمية عندما تم تحويل الدرس البلاغي إلى مجرد تأريخ بدلا من التطبيق. وكان من نتائج هذا الواقع ضياعُ استراتيجية تدريس البلاغة في الجامعة العربية من الخليج إلى المحيط: هل هي للتاريخ أم للتوظيف؟

وصارت مادة مكملة، أي يكمل بها "مؤرخو الأدب" حصصهم. فيعيدون على طلبة منهكين "مصلحين" بل مستسلمين الدروسَ الرثة التي تلقوها في الثانوي منذ سنوات، أو ينقلون نفس الأمثلة المكررة من الكتب إياها.

بعض الدراسات تعاني من انقصاص بين العنوان والمحتوى، فهي وإن أشارت في العنوان إلى الاهتمام بمضمون البلاغة، إلا أنها تركز على عوامل نشأة البلاغة وتطورها، وحديثاً عن أعلامها مؤلفاتهم وحديثاً تاريخياً حديثاً.

Le conflit بين القديم والجديد : entre l'ancien et le nouveau

لم نستطع التخلص من وهم الصراع بين الأصالة والمعاصرة أو بين القديم والحداثة، وهو صراع نفسي بالدرجة الأولى، إلى هذا يومئ مازن الوعر بقوله: "إن أساس الصراع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعاً بين الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء، وبين الأعمال اللسانية المعاصرة

مشكل القرآن لابن قتيبة وقواعد الشعر لشعلب، والبدیع لابن المعتز والموازنة للآمدي، والوساطة لعبدالعزیز الجرجاني، والعمدة لابن رشيق، وسر الفصاحة لابن سنان، ومفتاح العلوم وغيرها. وقد اهتم الدرس النقدي العربي الحديث متأخراً بالظواهر الأسلوبية والحداثيّة في النقد العربي القديم، وحاول الكثير من النقاد في المشرق العربي والمغرب الكشف عن تلك الظواهر في التراث البلاغي العربي أبرزهم: أ. د. عبد السلام المسدي، ود. عبد الله الغدّامي، ود. حسن ناظم، ود. يميني العيد، ود. محمد عبد المطلب، ود. أحمد مطلوب، ود. عواطف كنوش، وعدنان بن ذريل، ود. رجاء عيد وغيرهم، كل هؤلاء وعوا أن بواكير الحداثة والرؤية الأسلوبية إنما هي بضاعتنا، وكانوا يشيرون - ضمناً - إلى وحدة الثقافة العربية، وما كتبه هؤلاء إنما هي ردود فعل لما اكتشفوه من أوهام التبعية للمترجم والمنهج الخاطئ في معالجة النصوص على وفق الرؤية الأسلوبية عند الغربيين. إن للغربيين توجهاتهم الخاصة التي تتحكم بها طبيعة العائلة اللغوية التي تنتمي إليها لغاتهم.

Stratégie d'enseignement de la rhétorique إستراتيجية تدريس البلاغة

هل هي للتاريخ أم للتوظيف؟

Est-ce l'histoire De ou l'emploi

التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب. إن الصراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم، (امتداداً للأزمة النفسية الفردية، التي يعاني منها إنساننا العربي)، بين الباحثين الذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين، وبين الباحثين الذين يشدهم التاريخ الحديث والمعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإن المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك، وستحقق معاناة إقامة التوازن بين الأصالة والمعاصرة".¹²

تطعيم البلاغة العربية بالبلاغات الغربية:

Renforcer la rhétorique arabe avec la rhétoriques occidentaux

ظهر بجانب البلاغة في المقررات مواد أخرى، منها: الأسلوبية، وسميائيات النص الأدبي والتداوليات، وتحليل النصوص، والعروض والقوافي، والشعرية أو الشعريات، ولسانيات النص فكيف نتعامل مع هذه المناهج الجديدة؟ يقول مرتاض: "تمثلنا الخاص نتعامل مع بعض هذه الأدوات البلاغية القديمة للإفادة منها في فهم الظاهرة الأسلوبية لنصوص المعلقات، وليس بتمثل بعض الأقدمين الذين كان قصاراهم التوقف لدى أحسن تشبيهه؛ وأجمل استعارة، وألطف كناية، خارج

إطار النصّ العامّ، وبدون ربط هذا بذاك، ولا ذاك بهذا، ولا استنتاج شيء من هذا بالقياس إلى ذاك: إلّا ما كان من الانطباع البارد الذي ينشأ عن الإعجاب غير المبرّر: أي باقتلاع جملة من أصلها، واجتثاثها من أَوْحِيَّها؛ فإذا هي ناشرة شاحبة، وحائرة وخائبة، وسادرة باردة... إنّنا إذ نحلّل أطرافاً من النصّ المعلقاتيّ، في منظور مستوى النسيج اللغويّ، لنكرّر ذلك؛ فإنما لكي نراعي هذه الأدوات البلاغية في إطار النصّ العامّ؛ لا في جزئياته التي تمرّق النصّ، وتؤذي نظامه، وتشوّه سطحه، فتجعله رُقعاً خُلقاً، وأحلاساً بالية. وسنرى أنّ ارتفاعنا، ببعض الأدوات البلاغية، في طرّف من هذه المقالة، يندرج، بوعي منهجيّ، ضمن الرؤية الحداثيّة لهذا العلم التراثي".¹³

Problèmes et obstacles à l'éducation rhétorique

ب. إشكاليات وعوائق تعليم البلاغة

بتوظيف التراث:

employant patrimoine

يعد التراث رصيّدًا معرفيًّا لأيّ أمة من الأمم. والناس أمام التراث أحد اثنين: إما ممجّد دون تمحيص، وإما ممحص دون تمجيد. ونحن لا نطلب من الباحث أن يكون مجرد ماحد للتراث، لأنه في هذه

¹³ السبع المعلقات لمقاربة سيميائية / أنثروبولوجية، ص: 149.

¹² قضايا أساسية في علم اللسان الحديث: مازن الوعر، ص: 354-355.

الحالة لا يفيد التراث ولا يستفيد منه، بل نطلب منه أن يكون ممحصاً ومستفيداً. فالتراث جزء من الماضي، وله سيطرة على الحاضر.

ومن حقنا أن نتساءل هل المنهج التراثي في تعليم البلاغة عبر قرون هو تقنية عتيقة عفا عنها الزمان؟ أم أنها ما تزال صالحة اليوم؟ هل يجب على الباحث اليوم أن يتعلق بالتراث إلى الحد الذي لا يجب معه الانفصام؟ وفي خضم هذا كله هل يجب علينا رفض التراث؟ لا أظن عاقلاً يقول ذلك.

تزايدت إشكاليات قراءة النص التراثي وآلياتها من المنهجيات التقليدية إلى المنهجيات الحديثة خلال نصف القرن العشرين الأخير، فما هي الإشكاليات والعوائق التي أعاقَت دراسة البلاغة بالتراث؟

علمية البلاغة: *rhétorique scientifique*

حاول بعض العلماء البقاء بالبلاغة في عباءة التراث بحجة أنها نزعت للمنهج العلمي الصارم، وكانت بذلك حجة يتحججون بها لرفض المناهج الحديثة لأن البلاغة في نظرهم تحولت وتخلّت عن فطريتها وانطباعتها لتدخل دائرة العلمية، فكانت العلمية أخطر المزالق التي سقطت فيها البلاغة، وتبرير ذلك أنها دراسة ذوقية جمالية، فتحوّلها إلى العلمية المنهجية فيه

قضاء على مفهوم جمالياتها.¹⁴ وفي اعتقادي أن هؤلاء لم يوافقوا، لأنه شرفٌ للبلاغة أن تكون علماً، من أن تكون بحوثاً مبعثرة، لا تلتزم بخطة، أو منهج يضبط حركتها، فلا يجب تصوّر أن تعاب دراسة ما بأنها أخذت ثوباً علمياً منظماً، بل الأوفق أن تكون العلمية صفة مدح لا ذم، وهو ما تصبو إليه أي دراسة قديمة أو جديدة.

الابتعاد عن التطبيقات الباردة:

Éloignez des applications froides
بقول مرتاض: "...فليست البلاغة علماً مُفلساً؛ ولكن الذي أفلس البلاغة هم الذين لم يبرحوا يضيّقون من حولها الخناق، ويُوغلون في التطبيقات الباردة، ويُصِرّون على تجزئة الظاهرة الأسلوبية وقصرها على تشبيه واحد مقطوع عن أصله".¹⁵

عدم إلغاء التراث: ونحن لا نأنف من أن نكون بلاغيين على الطريقة الحديثة، إذ كانت الحداثة لدينا لا تنهض على إلغاء التراث بجذاميره، ولا الزُهد فيه بحذافيره؛ ولكنها تلقحُ التراث بالحداثة، وتوظفُ الحداثة للتراث؛ والنظر إلى التراث برؤية متحررة متطورة، وبأدوات إجرائية

¹⁴ البلاغة العربية: قراءة أخرى محمد عبد المطلب،

ص: 02

¹⁵ السبع المعلقات لمقاربة سيمائية / أنثروبولوجية،

ص: 149.

جديدة تكون لها القدرة على فكّ اللغز،
وتعربة المغشّى، ونُبش المغطّى.¹⁶

اختلاط المباحث البلاغية مع غيرها:

DETECTIVES mélange de rhétorique avec d'autres

أن المادة البلاغية تجمّعت من روافد عديدة
، وأن موضوعاتها نشأت متداخلة مع جملة
من الأغراض والاختصاصات يعس، من
جرائها ، تمييز الموضوعات البلاغية من
غيرها ، وحتى نستفيد من التراث بشكل
فعال يجب علينا استبعاد الأبحاث المقحمة
في البلاغة، وما خالطها من مقدمات
منطقيّة واستطرادات فلسفية، مثل:
الدلالات، والجامع الوهمي والخيالي
والعقلي، كما يمكننا أيضا حذف
الأبحاث الأصولية التي لا علاقة لها
بالبلاغة وتجنب الإطالة في التعاريف،
ومُحتَرزات القيود والخلافات اللفظية، فإنّه
لا معنى لأنّ يبدّل الطالب وقتاً وجهداً في
خصوصية عنيفة، يُطالِع فيها حجج
الفريقين، ويُتعب نفسه في تفهّم جدلِ
الخصمين، ثم يُقال له أخيراً: إن الخلاف
لفظي، أو يجد النتيجة لا تُكافئ الجهد.

الابتعاد عن التقليد:

Éloignez de la tradition

يقول تمام حسان: "أضف إلى ذلك ظاهرة
كانت مشؤومة من تراثنا العربي، هي

ظاهرة التقليد والنقل عن السابقين، لقد
شاعت هذه الظاهرة واستمرت حتى لتبدو
نشأة كل فرع من فروع الدراسات العربية
كأنها طفرة لا تمهيد لها ولا استمرار
لنموها وتطورها...ثم جاء المتأخرون فكان
دورهم الاستيعاب والنقل دون الإضافة...
ويضيف قائلاً: وإذا لم نعمل نحن المعاصرين
من العرب هذا التعبد بأقوال المتقدمين،
وعلى محاولة الخلق والابتكار والمزج بين
أفكار التراث وبين العلم المعاصر فسوف
يقول من بعدنا عنا ما نقول نحن عمن
تقدمنا...يؤسفني أن أقول ذلك ، وأن أوجهه
إلى تراث لغتنا الذي أكاد أجزم على رغم
هذا أنه قل نظيره في غناه وتنوعه".¹⁷

ويقول الدكتور مرتاض: "و لكن بعيدا عن
فخ التقليد الذي ابتلينا به بهذه النظريات
التي نقرؤها في لغاتها الأصلية طورا،
ونقرؤها مترجمة طورا آخر، فإذا عداها
تسري كالسموم التي تتسرب في
أجسامنا".¹⁸

إقحام مسائل الفلسفة والمنطق :

Intercalation des questions de philosophie et la logique

لقد حاولت دراسات كثيرة معاصرة أن
ترجع الأسباب التي دعته لتجديد الدرس

¹⁷ الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي

عند العرب النحو- فقه اللغة -البلاغة:الدكتور

تمام حسان، ص: 323- 324.

¹⁸ ألف ليلة وليلة -تحليل سيميائي تفكيكي

لحكاية جمال بغداد :عبد الملك مرتاض:ص: 11.

¹⁶ السبع المعلقات لمقاربة سيميائية / أنثروبولوجية

لنصوصها: الدكتور: عبد الملك مرتاض،

ص: 149.

البلاغي اختلاط مباحث البلاغة بالفلسفة والمنطق ، والواقع أنَّ الشُّكوى من جفاف علم البلاغة ، وإقحام مسائل الفلسفة والمنطق فيه ، شكوى عامَّة وردت في كثير من كتابات المعاصرين ، ولذلك حاول أمين الخولي ربط الجمود والجفاف والتعقيد في الدرس البلاغي بعلاقة البلاغة والاستدلال¹⁹ ، بالمنطق ملقياً بالتبعة على السكاكي لعقده فصلاً عن الاستدلال في كتابه مفتاح العلوم.

تحنيط البلاغة:

embaumement rhétorique

"علوم البلاغة" هو عنوان أشهر كتاب في المجال المدرسي العربي من الخليج إلى المحيط منذ الخروج من شروح التلخيص في بداية التأليف للمدرسة الحديثة (فرغ منه سنة 1334هـ). كل ما فعله أحمد مصطفى المراغي هو إضافة مقدمة في "الفصاحة" مأخوذة عن ابن سنان الخفاجي، سيرا في النهج الذي سار فيه بدأه السكاكي بقول مرتاض: "كان الأستاذ عليّ الجارم في كتابه المدرسيّ "البلاغة الواضحة". ولكن مساعيه ، هي أيضاً ، لن تجاوز المنطلقات

التقليدية لمفهوم الإجراءات البلاغية ، وتقسيماتها الركبكية..."²⁰

إهمال الجانب التطبيقي: أحمد بدوي فقد رأى ، بأن التصدي لبلاغة قرآن كلا شيء فوق طاقة الفرد وجهد العقل. ولهذا الكتاب قصة بدأت في يوم من العام الماضي بدار العلوم ، حين أخطأ الأستاذ لنفسه منهجاً جديداً في تدريس البلاغة لطلابه ، فقد أثر الناحية التطبيقية ، على تدريس القواعد البلاغية ، كما تركها لنا القدامى ، ممزوجة بالفلسفة ، أو متأثرة بالمنطق ، وقد أصاب فيما أرتأى وما ابتدع ، فإن البلاغة ذوق وفن ، ومران وصقل ، وملكة وحاسة ، وهي عدد تنمها القراءة الرشيدة ، والدراسة الحرة ، والاطلاع والواسع ، والعزوف عما فتن لها من القواعد ونظم لا يتصل أغلبها بالذوق السلم.

تعليم البلاغة باعتبارها قواعد جافة:

Education rhétorique comme règles secs

صارت البلاغة قواعد جافة أشبه بقواعد النحو والصرف ابتداء من مرحلة التقنين والتعقيد وتبدأ هذه المرحلة بظهور أبي يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة 626هـ الذي اهتم بالفلسفة والمنطق فقام

²⁰ السبع المعلقات لمقاربة سيمائية / أنثروبولوجية:

الدكتور: عبد الملك مرتاض ، ص: 162.

¹⁹ مناهج تجديد: أمين الخولي ، ص: 167 تاريخ

البلاغة العربية والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي ، ص: 28.

بتقنين قواعد البلاغة مستعيناً في ذلك بقدراته المنطقية على التعليل والتعريف والتفريع والتقسيم، وبذلك تحولت البلاغة على يديه إلى مجرد قواعد وقوانين صيغت في قوالب منطقية جافة باعدت بينها وبين وظيفتها من إرهاف الحس وإمتاع النفس وتربية الذوق وتنمية الملكات.

الكتاب المدرسي البلاغي: livre d'école rhétorique

ظل كتاب "البلاغة الواضحة" مثلاً رفيع الشأن لتقريب البلاغة التقليدية. كان استقراره في مدارس مصر وبعض الدول العربية والإسلامية يرجع إلى مادته المختارة بعناية من عيون الشعر العربي إلى جانب الطريقة التربوية.

لم يبدأ العدول عن تدريس البلاغة التقليدية، إلا بعد المطالبة المتكررة بإدخال المفاهيم النقدية الجديدة من جانب والعناية بالأنواع الأدبية الجديدة، وفي مقدمتها المسرحية والرواية والقصة القصيرة والمقال من الجانب الآخر، وفي هذا الإطار أُلْفَت كتب جديدة، إلى أن دخلت هذه الموضوعات مع تاريخ الأدب والنصوص في كتاب واحد.

لم تتخلص البلاغة من عباءة التلخيص والشروح والتعليقات:

Rhétorique ne pas se débarrasser du manteau des sommaires, annotations et commentaires

كانت شروح التلخيص ومختصراته وخاصة الإيضاح والتلخيص منتهى ما يطمح العلماء في النصف الأول من هذا القرن إلى فهمه وتفهمه، كما يقول حامد عوني في مقدمة كتابه: المنهج الواضح. قال بعد عرض موجز لتاريخ البلاغة. وبقي الأمر على هذه الحال حتى جاء فارس الحلبة أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة 626 فوضع كتابه مفتاح العلوم "ثم جاء المتأخرون من بعده، فلم يستطيعوا أن يزيدوا عليه شيئاً من أصول البلاغة. وكان قصارى جهودهم أن تناولوا كتابه باختصار تارة وبالشرح أخرى". وقد بلغ من اعتراف العلماء بهذين الكتابين (التلخيص والإيضاح للقزويني) وجليل نفعهما أن عدوهما آخر ما وصل إليه الإتيان والإبداع في هذه الفنون، فلم يحدثوا أنفسهم بالزيادة على ذلك أو التبدل فيه أو الخروج عليه، ووقفت همتهم عند ما انتهى إليه هذا الإمام الجليل وقصروا جهودهم على البحث في كتبه".

الاعتماد على التصنيف:

إن تدريس البلاغة العربية في كثير من الدول العربية اعتمد اعتماداً كلياً على مبدأ التصنيف، معتمدين في ذلك على كتب التراث، وفي قراءة أولية لهذه المصنفات نجدها تعتمد على تصنيف المادة، حيث يبدؤون بتعريف الفصاحة أولاً ثم البلاغة ثانياً ثم يقسمون البلاغة إلى

البيان، والمعاني، والبديع، وهذا الطرح ظل مهيمنا على الكتابات البلاغية والبرامج المسطرة، وفي مختلف البرامج التعليمية إلى يومنا هذا لم تراعي شخصية المتعلم.

ج-المزاوجة بين التراث والحداثة

بوعي: *accouplement entre tradition et modernité avec conscience*

ومشرب مرتاض التراثي وعنايته به ومحاولة المزاوجة بين ما هو حداثي وما هو تراثي كثيرة الورد في كتاباته ، لذلك يعترف عبد الملك مرتاض بأهمية التراث للانطلاق نحو الحداثة؛ إذ يقول: "ومثل هذا النصّ النقديّ العجيب هو الذي كان يحملنا، دوماً، على الانطلاق من التراث نحو الحداثة، أو من الحداثة ولكن بالاستناد إلى التراث؛ وذلك على أساس أنّ التراث النقديّ العربيّ، غنيّ بالنظريّات والآراء النقدية...والذين يكابرون فيتعاملون على هذا التراث لا يعدّون أن يكونوا واحداً من اثنين: إمّا لأنهم يجهلون هذا التراث، وإمّا لأنهم، لبعض ما في قلوبهم من مَرَضٍ، يمتقنونه فيقعون في المكابرة. ولا حاجة لهم في الحاليّن، ولا سدادَ لرأيهم في الطورين".²¹ ويقول أيضاً: "...كيف نفيد من التراث، وننقل بالحداثة في الوقت ذاته؟ وهنا تكمن الحكمة. أي هنا تتجلى

المشكلة التي تتطلب حلاً يقوم في كيفية حسن تمثيل هذين القطبين والإفادة منهما معا بحيث يصبحان جدلية للتفكير الأصيل المتجدد..²² من مثل قوله " أن العرب من الأمم التي عملت بفتح النص وعطائيته بحيث لنفيهم يولعون ايلعا شديدا ببعض النصوص كما حدث مثلاً لشعر المتنبّي الذي وصلنا من التراث أكثر من ثلاثين قراءة أشهرها قراءات ابن الأثير وابن جني وابن سيده، وأبي حيان التوحيدي والشريف المرتضي".²³

ويبدو المنهل التراثي يمثل أحد المصادر الهامة التي اتكأ عليها ، لذلك نراه يصرح بذلك مراراً في كتاباته ومن ذلك قوله: "أما ما نود نحن. فهو أن نفيد من النظريات الغربية، القائم كثير منها على العلم كما نفيد من بعض التراثيات ونهضم هذه وتلك، ثم نحاول بعد ذلك عجن هذه مع تلك عجينا مكيّناً، ثم بعد ذلك نحاول أن نتناول النص برؤية مستقلة مستقبلية".²⁴

الخاتمة: *Les résultats*

لم يكن هدفنا من هذه الدراسة هو الانتصار لفريق دون الآخر أو للحكم على الآراء وتصويب أناس وتخطيء آخرين، بل

²² أ- ي: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد د. عبد الملك مرتاض، ص: 9.

²³ ألف ليلة وليلة -تحليل سيميائي تفكيكي

لحكاية جمال بغداد :عبد الملك مرتاض. ص: 87.

²⁴ المصدر نفسه، ص: 12.

²¹ السبع المعلقات: مقاربة سيميائية أنثربولوجية

لتصوصها: دراسة / عبد الملك مرتاض، ص: 0149

كان هدفنا هو قراءة في تعليمية الدرس البلاغي قراءة واعية وقراءة المراحل التي مر بها لنستفيد من هذه القراءة لعلها تبصرنا أكثر وتزيد وعينا أكثر، لنخلص إلى نتيجة ما كنا لنصل إليها لو لم نقرأ التاريخ.

في الأخير نقول ربما لا يكفي عقد الالتقيات والندوات التي تقام هنا وهناك تطرح فيها الأسئلة ، وتصاغ فيها الإشكاليات ، وتحدد فيها بعض الأهداف وتلبى فيها بعض الحاجيات ، للخروج من الأزمة التعليمية التي تعاني منها الأمة العربية ، وإن كانت هذه المؤتمرات العلمية في حد ذاته انجازا هاما بل ينبغي كذلك ، العمل على الإجابة على مجمل الاستفهامات. وهو ما يتطلب إرادة صادقة.

النتائج المتوصل إليها: les résultats obtenus

- ضرورة إعادة قراءة تراثنا البلاغي قراءة منصفة من أجل إعادة الشرعية لهذا التراث.
- لا نقدر الماضي، كما نرفض القطيعة مع الحاضر.
- الابتعاد قدر الإمكان ، عن التعريفات والتقسيمات والتفريعات التي تغرق الطالب في متاهات تجعله ينفر من البلاغة كعلم وفن.
- ضعف التأهيل لمعلمي اللغة العربية في المرحلة الأكاديمية في مجال البلاغة.

- وصل الدارسين للبلاغة بتراث أمتهم عن طريق الأساليب البلاغية الجيدة التي يزخر به التراث.

- النشاط الفكري لدى القراء كثيف ميز حياتهم لكن ربما ما ينقص هو النظريات والمنهج.

- لماذا نعيش ونحن ملغمون بسوء الظن بالآخرين؟

- إن الجهود النظرية المبذولة من طرف الباحثين والتي تخاصم وتنصب العداء للأمة من غير مبررات ومسوغات مشروعة ، وتمارس الإقصاء لا شك أنها في الأخير تحري وراء السراب وتجني الوهم.

- الإغراق في ركوب الموجات الوافدة دون تمحيص حال دون تقريب التراث البلاغي من الثقافات الغربية.

التوصيات: Recommandations

- الدعوة للعناية بالبلاغة بمواصلة البحث واستتطاق التراث.
- ضرورة العودة إلى ينباع تراثنا البلاغي ولا عيب في الاستفادة من المناهج الحديثة الغربية إذا كانت لا تتعارض مع خصوصياتنا الثقافية.
- ندعو لإرساء منهج بلاغي يجمع بين الأصالة والمعاصرة دون انغلاق مقرف ولا انفتاح مسرف.
- دعوة إلى إعادة قراءة التراث العربي قراءة متأنية ومستبطنة ، حتى لا يؤدي إلى

الانفصام بين الدرس البلاغي العربي القديم والمناهج الحديثة.

- ندعو للتخلي عن التصنيفات التقليدية للبلاغة .

- لا نريد تجديد البلاغة على طريقة طه حسين الذي كان ينادي إلى اكتشاف الأصول اليونانية في البلاغة، ويظهر ذلك جليا في البحث الذي قدمه بعنوان "البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر" والذي قرر فيه أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاحظ يتبين فيه ثلاثة عناصر مختلفة، العنصر العربي والعنصر الفارسي والعنصر اليوناني، مؤكداً على أثر أرسطو في البلاغة العربية.

- الابتعاد في تعليم البلاغة كغاية بل كوسيلة للتعبير عن الأفكار.

- تحويل نظرة المتعلمين أن البلاغة ليست خاصة بالأدب الراقي وكبار الأدباء والمتخصصين.

الابتعاد عن العناية المفرطة للقواعد.

- الخروج من وضعية الاستهلاك الفكري العقيم الحالي، إلى مرحلة الإنتاج الفعال، والانخر.

المصادر والمراجع:

Sources et références

- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة - البلاغة:الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، 1420- 2000.

- ألف ليلة وليلة -تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد :عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1993.

- ا- ي: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد:د. مرتاض، عبد الملك ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.

- البلاغة العربية: قراءة أخرى محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ناشرون، 01998
- تاريخ البلاغة العربية والتعريف برجالها:أحمد مصطفى المراغي:ط.مصطفى الحلبي، القاهرة 1950م .

- تراثا الفكري في ميزان العقل والشرع، محمد الغزالي، ط. الأولى، دار نهضة مصر.
- التراث والحداثة: د. محمد عابد الجابري، ط 1/ يوليو 1991، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت.

- السبع المعلقات:مقاربة سيميائية أنثربولوجية لتصوصها:دراسة/ عبد الملك مرتاض، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999.

- الشعر والشعراء :ابن قتيبة. دار الثقافة، بيروت، 1964.

- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقول عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2001.

- قضايا أساسية في علم اللسان الحديث:مازن الوعر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط.الأولى1988.

- اللسانيات وأسسها المعرفية:عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر 1986.

- المرايا المحدبة (من البنيوية الى التفكيك) عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة.

- مناهج تجديد: أمين الخولي، القاهرة 1961م .

- نظرية التراث: الدكتور فهمي جدعان، دار الشروق عمان .